عين تيقصرين
نموذج لعيون فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أ/ علي بن بلة
أستاذ مساعد "أ"
معهد الآثار – جامعة الجزائر 2

Résumé :
L'eau, cette source de vie a connue à Alger pendant la période ottomane une importance administrative et juridique. Cette action est constatée par l'établissement des turcs d'un système hydraulique qui assurait l'alimentation de la ville par de l'eau potable, en bâtissant des aqueducs, puits et fontaines publiques.
Dans cet article, on a donné un aperçu sur le *fahs* de la ville d'Alger, les aqueducs qui approvisionnaient jadis la ville à savoir : aqueduc du *hamma, télémly, bir traria* et *ain zeboudja* et les caractéristiques générales des fontaines publiques.
On a choisi parmi ces fontaines celle de *tixeraîn* comme exemple parce qu'elle conserve toujours les éléments architecturaux et artistiques.

يحمل مصطلح عين عدّة معان، غير أن ما يرتبط منها بموضوع المياه تشترك كلها في تعريف العين من الناحية الطبيعية، إذ يذكر إبن منظور في قاموسه لسان العرب أن هذا اللفظ يطلق على ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض و يجري وأن عين القناة مصب مائها و جمعها عين وعيون[1] غير أنه استعمل أيضا للدلالة على المباني الموجهة لتزويد المارة و العطشى بالماء، لقد احتوت المدن منذ القديم على هذا النوع من المنشآت، موزعة في الشوارع والأزقة والساحات، ولم يقتصر وجودها داخل المدن فحسب بل تعدته لتشمل الضواحي المتاخمة لها، وهي المعبر عنها بالفحص.

1- فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

إن كلمة فحص تطلق على كل موضع يسكن، وهو في الأصل اسم لما استوي من الأرض وجمعه فحوص. [2]

كان فحص مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية يمثل حوالي ثلث مساحة الإقليم كله، أي حوالي 150 كم^2 ، و هو بهذا يمتد إلى ما يزيد عن عن 12 كم خارج أسوار المدينة، كما تميز بانقسامه إلى ثلاث ضواحي متمايزة، وذلك حسب الطرق الرئيسية المؤدية إليها وهي: فحص باب الوادي، فحص باب عزون، والثالث فحص باب الجديد ، غير أن الذي يهمنا أكثر هو فحص باب عزون – لاحتوائه على

[1] إبن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على حرف الألف من الكلمة: يوسف خياط، المجلد 4، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، 1988، ص.947.

[2] الزبيدي (السيد محمد مرتضى)، تاج العروس، المجلد 4، دار ليبيا للنشر، بيروت، 1966، ص.414.

معظم العيون- الذي يضم أحياء عين الأزرق والحامة وعين الرمانة ومنزلة المحلة (ساحة أول ماي حاليا) وبئر مراد رايس وبئر الخادم والقبة وتيقصرين (**الخريطة1**)

إن أهم ميزة يختص بها الفحص طبيعيا هي ثروته المائية المختلفة المصادر، من عيون طبيعية وآبار وأودية[3] منها ما استغل في انجاز وتزويد شبكة قناطر وقنوات المياه.

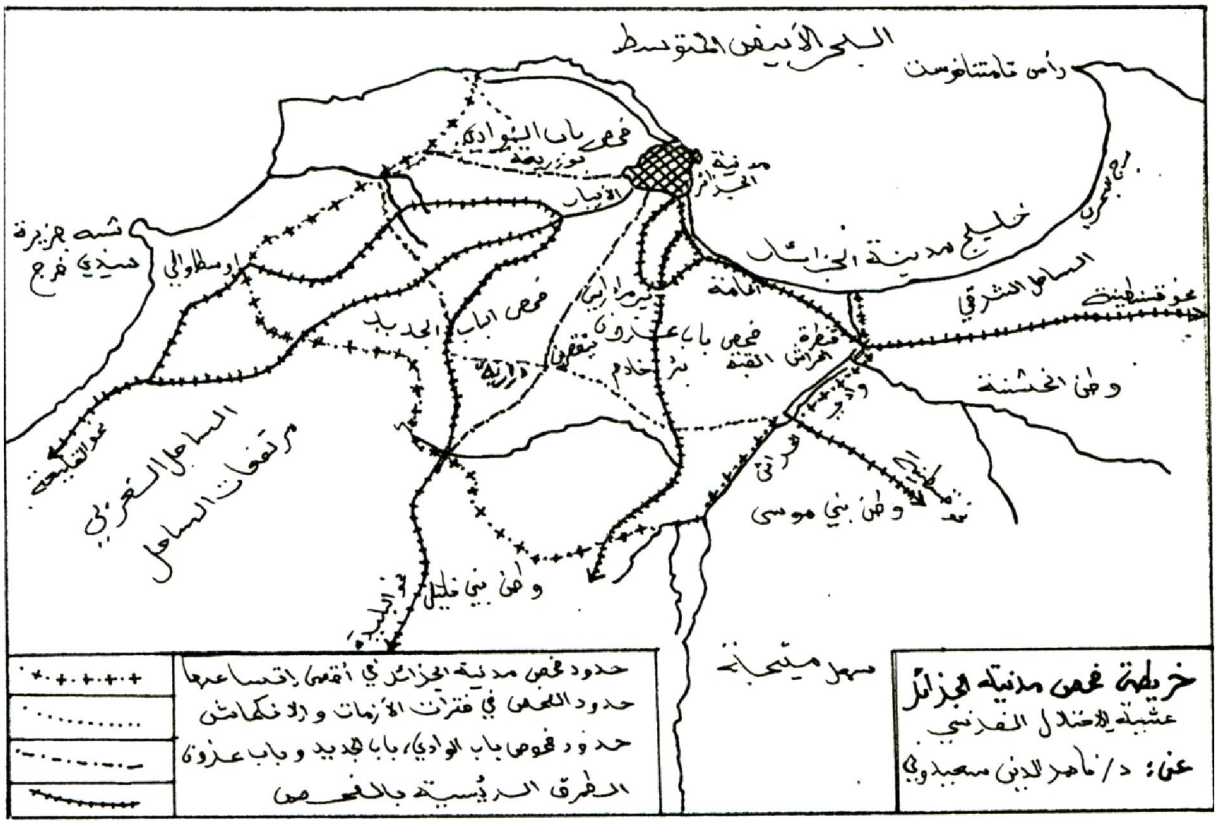

خريطة 1: فحص مدينة الجزائر عشية الإحتلال الفرنسي عن/ناصر الدين سعيدوني

2- التجهيز المائي لمدينة الجزائر:

إن هذا التجهيز الذي كان يغذي الأهالي بالمياه الصالحة للشرب –من خلال العيون- جاء نتيجة أبحاث متواصلة عن أماكن المياه التي تمركزت خاصة في المنطقة الساحلية.

عن القنوات الرئيسية المكونة لهذه الشبكة تمثلها كل من قناة تليملي، بئر طرارية، الحامة، وعين زبوجة (**الخريطة2**) التي كان يبلغ معدل ضخها –مضافا إليها ثلاث قنوات ثانوية أخرى- حوالي 5.5 مليون لتر/اليوم[4]. قامت بتموين ما يزيد عن 100 عين ومنشآت عمومية أخرى كالحمامات وغيرها.

كما ارتبط هدا الجهاز بشبكة لصرف المياه المستعملة، أنجزت بعمق حوالي 1 متر مرتفعة عن الأولى وذلك بمادة الفخار[5].

---

[3] سعيدوني (ناصر الدين)، " فحص مدينة الجزائر"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 1، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988، ص.94

[4] DALLONI (M.), « Le problème de l'alimentation en eau potable de la ville d'Alger », in : Bulletin de la société géographique d'Alger et de l'Afrique du nord, vol.29, F.Montegut , Alger, 1928, p.6.

[5] ROZET (M.P.), Voyage dans la régence d'Alger, Paris, 1933, p.96.

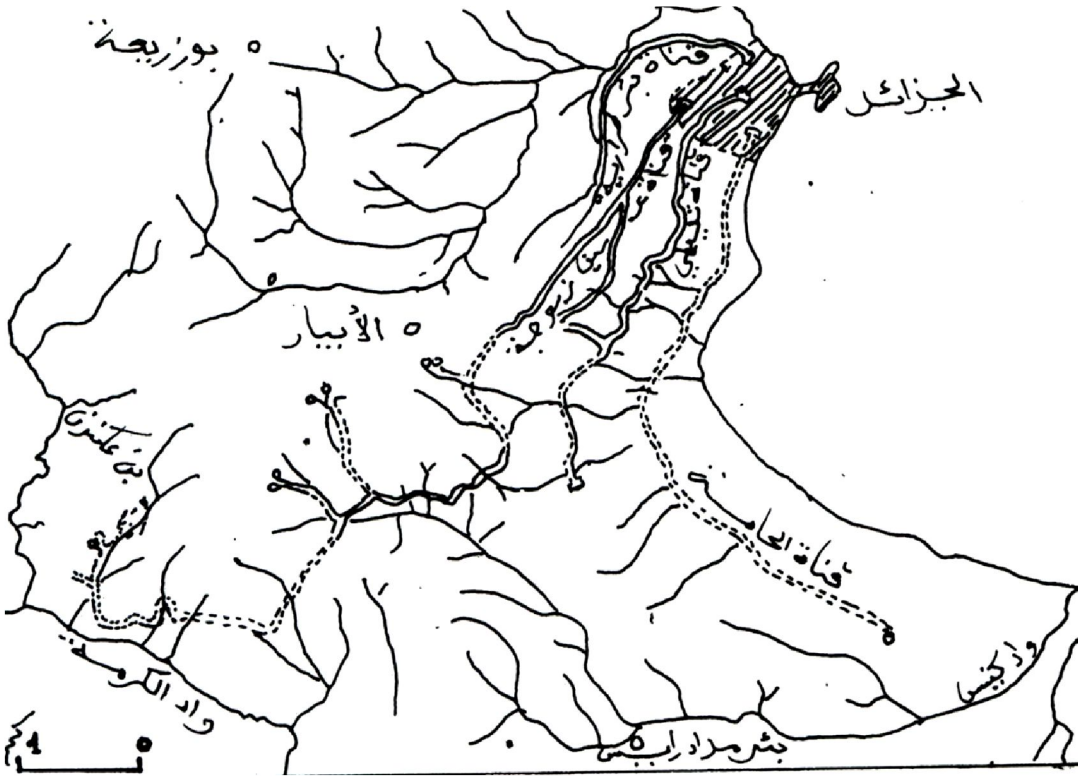

مفتاح الخريطة:

قنوات مائية		- - - - -	قنوات مندثرة
أوديـة		°	عيون

عن: دالوني DALLONI بتصرف

المميزات العامة لعيون مدينة الجزائر:

تشترك عيون مدينة الجزائر في النقاط التالية:

- عمومية، من إنجاز شخصيات مهمة من المجتمع، تسابقت للقيام بهذه الأعمال الخيرية رغبة منها في تخليد أسمائها، وهو الشيء الذي تعبر عنه مضامين كتابات اللوحات التأسيسية الموجودة بهذه العيون.
- إحتوائها على أوان للشرب، مربوطة بالعيون بواسطة سلاسل خاصة.
- في حالة اكتظاظ العين، يخضع استعمالها للمكانة والشريحة الاجتماعية للمستهلكين، إذ الأولوية للأتراك، ثم الأهالي، ليأتي دور اليهود في المرتبة الأخيرة[6].
- كانت العيون وقنوات المياه تحت إشراف هيئة مختصة يترأسها **قايد** أو **خوجة العيون** ووظيفتها مراقبة العيون وصيانتها، وضمان حسن سيرها واستعمالها، كما كانت هناك قوانين صارمة تطبق في هذا

[6] LAUGIER DE TASSY, Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam, 1725, p.158.

المجال، وكمثال نذكر القانون القاضي بوجوب قطع يد كل من يثبت ضده كسر عين أو إتلاف جزء من إحدى قنوات المياه[7]. وهذا دليل قاطع على القيمة الكبيرة التي أولاها الأتراك لهذا العنصر الحيوي.

3- عيون الفحص:

إن المميزات العامة التي سبق ذكرها، تشمل كل عيون مدينة الجزائر، داخل الأسوار وخارجها (الفحص)، غير أن عيون هذه الأخيرة تنفرد ببعض الخصوصيات، فإضافة إلى ضَخامة بنائها مقارنة بالأولى، كانت موجهة أيضا للاستعمال كمشارب للحيوانات الأليفة كالخيول مثلا، وتعدت هذا الإطار لتستعمل لسقي الأراضي و لا تزال هناك نماذج من عيون الفحص قائمة إلى يومنا هذا، نذكر منها:

- عين الحامة: أنشأها الداي محمد بن بكير خوجة الملقب **نقسيس** سنة 1173 هـ /1759 م
- عيون بئر مراد رايس وبئر الخادم وتيقصرين: بنيت كلها من طرف الداي حسن باشا في الفترة 1208-1212 هـ /1793-1797 م
- عين بولوغين: بناها الداي مصطفى باشا سنة 1219 هـ/1805 م.

فيما يخص عملية وصول الماء إلى هذه العيون وطريقة تخزينه، نظن أن وجودها في أماكن منخفضة بالنسبة لشبكة قنوات المياه التي تمونها، عامل ساهم –حسب رأينا- في وصول الماء إلى العيون بقوة دفع كبيرة، أي أن مشكلة الضخ لم تكن مطروحة ونظرا لظهورها بارزة إلى الأمام كما سنرى فيما بعد فإنه من المحتمل جدا أن عملية التخزين على مستوى العين كانت تتم في خزان يقع في الحيز الداخلي من البناء ، حيث يستقبل الماء من القناة ويدفعه إلى مستعملي العين عبر أنبوب من الرصاص . ونظرا للتشابه الكبير الموجود بين هذه العيون سنقتصر على دراسة نموذج واحد يتوفر على أكبر عدد من المميزات التي سبق ذكرها.

4- عين تيقصرين:[8]

تقع هذه العين في قرية تيقصرين ، جنوب شرق مدينة الجزائر، في المكان الذي يتوسط كل من بئر مراد رايس و طرارية وبئر الخادم **(الخريطة1)** وهي تبعد عن هذه الأخيرة بحوالي 2 كم في الإتجاه الشمالي الغربي.

أنشئت العين من طرف الداي حسن باشا سنة 1797م ، ونشير إلى أنه تحت ولايته وفي نفس التاريخ أنجزت قنطرة مياه لتموين التجمع السكني لتيقصرين ، تحتوي على نقش إنشائي غائر صمم باللغة الإسبانية **(اللوحة1)** مما يدل على أنها بنيت من طرف أيد عاملة أندلسية، هذه الفئة التي نالت شهرة كبيرة بالجزائر في ميدان الريّ والعمران.

[7] KLEIN (H.), Feuillets d'El-djezaîr , éd. CHAIX , Alger,1937, p.189.
[8] NOUGIER (P.L.),Birmandreis ; dossier urbain , mémoire de licence, S.D.

اللوحة 1: قنطرة مياه بتيقصرين ويظهر في الأسفل تاريخ الإنجاز بالإسبانية.

عن: نوجيي NAUGIER

أ- وصف العين: (الصورة1،الشكل 1)

تتركب من دعامتين مستطيلتي المقطع (22X30 سم) يرتكزان على قاعدتين مدرجتين، يحفان حوضا مستطيلا (75 53X65X سم) علما أن شكل القاعدة نلاحظه أيضا في الوسادتين التين ينطلق منهما العقد النصف دائري، غير أنه يأخذ وضعية مقلوبة.

الصورة 1: منظر عام لعين تيقصرين.

عن: نوجيي NAUGIER

أحيطت الواجهة الأمامية للعين بشريط مكون من صفين من البلاطات الخزفية، يعلوه صف آخر من القراميد النصف أسطوانية، ذات لون أخضر تظهر بوضعية متموجة، يمتد هذان الصفان أعلى الواجهة ليشملا الضلعين الجانبيين والجدار الذي تتكيء عليه العين. **(الشكل 2)**

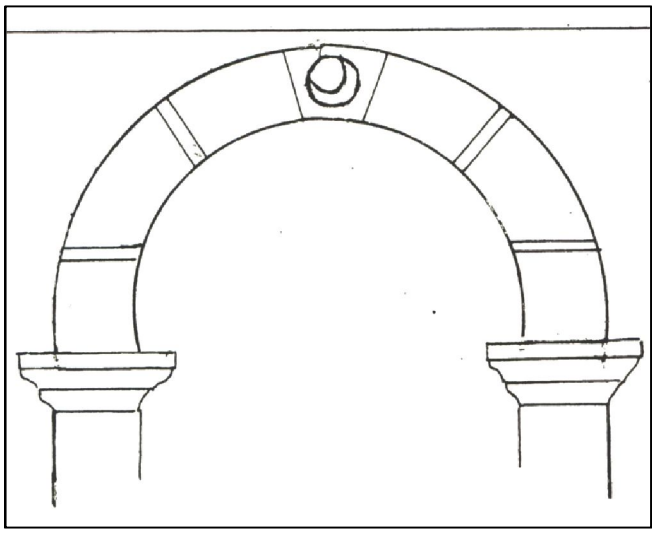

0 40 سم

الشكل1 : عين تيقصرين، عقد نصف دائري ينطلق من وسادتين مدرجتين.

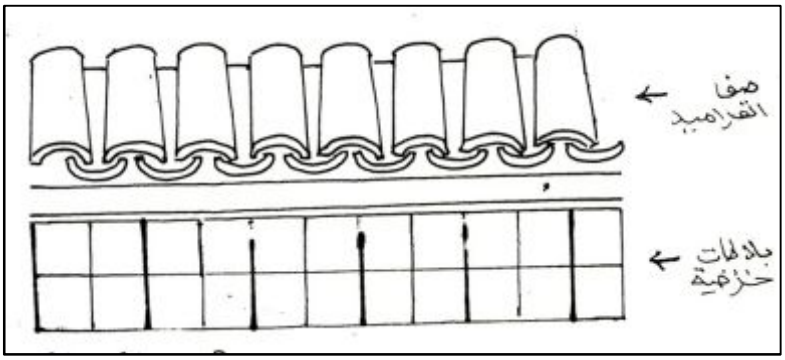

0 40 سم

الشكل 2: صفا القراميد والمربعات الخزفية الذين يحليان أعلى الواجهة الأمامية لعين تيقصرين.

غطي التجويف الداخلي، في المساحة المحصورة بين الدعامتين بقطع كبيرة من الرخام، تنتهي في ضلعها العلوي ببروز مشكلا مسندا للوحة رخامية أخرى، تحمل النص التأسيسي للعين، محاطة بقطعة من البلاطات الخزفية مشابهة لتلك التي تحلي الواجهة الأمامية. **(الصورة 2)**

الصورة 2: عين تيقصرين، العقد نصف الدائري والكتابة التأسيسية.

لقد تم تنفيذ الكتابة بطريقة الحفر الغائر المملوء بالرصاص المذاب، هذه الطريقة التي نلخصها فيما يلي:

- ترسم الخطوط التمهيدية للنص، ثم يشرع في حفر الحروف المكونة له، على أن تكون بنفس العمق، ثم تعمق بعض الأماكن المحفورة بإحداث حفر أعمق متباعدة بينها.

- يملأ النقش الغائر بالرصاص المذاب بطريقة تجعل الكتابة تظهر بنفس مستوى سطح اللوحة الرخامية.

- تصقل المساحة المكتوبة باستعمال حجر خاص، لتبدو وكأنها كتبت بحبر أسود على أرضية بيضاء[9].

كتب النص التأسيسي لعين تيقصرين باللغة العثمانية، يتكون من أربعة سطور، على شكل أبيات شعرية محصورة في إطارات مفصصة الجانبين.

ب- النص الكتابي:

سطر1- اقيدوب بوجشمه ساري لطف ايدوبديدي سبيل.

سطر2- صاحب الخير حسن باشا أول معدن جود وسخا.

سطر3- وادي عطاشده كزمه كورد وكنه أول دليل.

سطر4- ايج قانجه عين حياتدن قلدرال ايله دعا سنة ١٢١٢.**(الشكل3)**

[9] DEVOULX (A.), Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger, A. Jourdan, Alger, 1874, p.2.

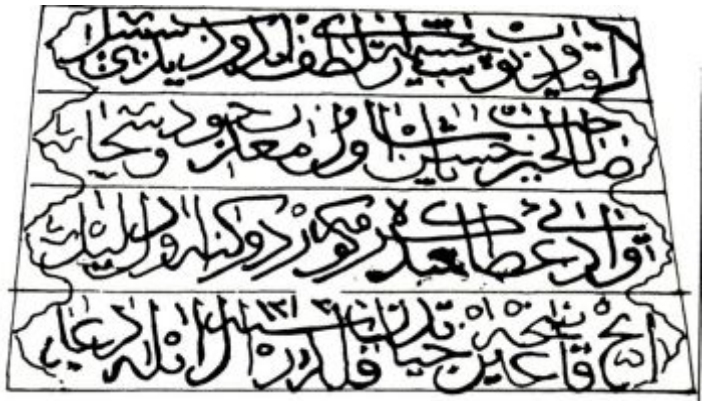

0 10 سم

الشكل3 : الكتابة التأسيسية لعين تيقصرين مصممة باللغة العثمانية.

ج- ترجمة النص:

سطر1- بعد جعل هذا الينبوع يجري تلطفا بالأمر بسبيل.

سطر2- صاحب الخير حسن باشا معدن الجود والسخاء.

سطر3- لا تظل في وادي العطش إن هذا دليل للذي رآه.

سطر4- أشرب حتى تروى من عين الحياة إرفع يديك وادع، سنة 1212[10].

د- الزخارف:

تتميز عين تيقصرين فنيا، بتنوع الزخارف واختلاف تقنيات تصميمها على المواد المختلفة وهي تتمثل فيمايلي:

- الزخارف النباتية:

نجد هذه الزخارف على المربعات الخزفية، قوامها موضوع نباتي مصمم ضمن تجميعات من أربع بلاطات خزفية وهي من صنع إيطالي[11] **(الشكل4)**

[10] COLLIN (G.), Corpus des inscriptions arabes et turques d'Algérie, département d'Alger, éd. L Leroux, Paris, 1901, p.176.

[11] BROUSSAUD (Le général), Les carreaux de faïences peints dans l'Afrique du nord, éd. Plon, Paris, 1930, PL.6 E.
ARSEVEN (C.E.) , Les arts décoratifs turcs, Istanbul, S.D.. p.61.

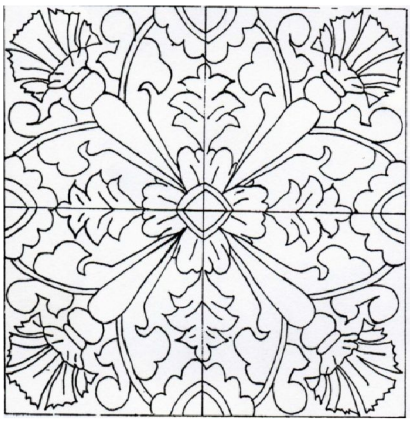

0 15 سم

الشكل4 : تجميعة من المربعات الخزفية بعين تيقصرين،
قوامها أزهار قرنفل وأوراق أقنتة.

والعناصر النباتية المشكلة للموضوع هي:

- زهرة القرنفل:

إستعملها الأتراك بكثرة في زخرفة منتجاتهم الخزفية خاصة في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، نلاحظها في عين تيقصرين تنطلق باتجاه أركان التجميعة من وردة مركزية مفصصة، وهي تأخذ شكلا مغايرا لتلك المستعملة في تركيا**(الشكل5)**

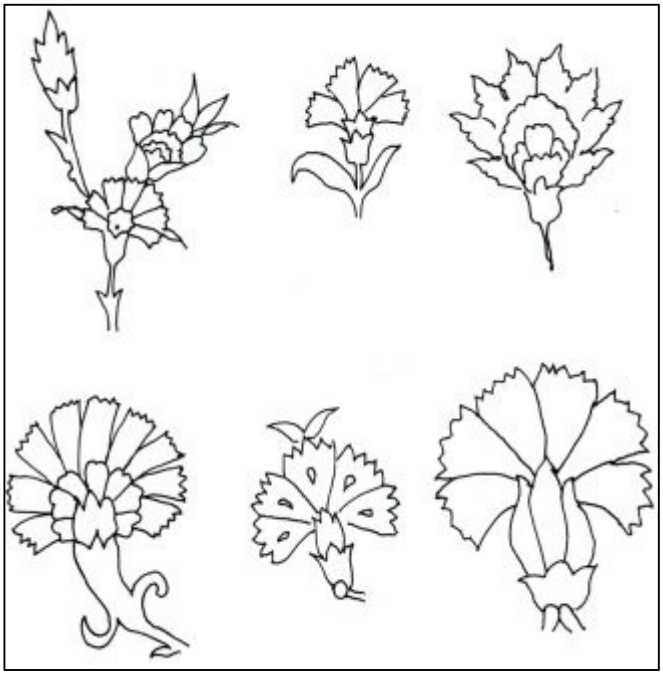

الشكل5 : بعض الوضعيات التي تتخذها زهرة القرنفل
على المصنوعات العثمانية. عن : أرسوفان ARSEVEN

- ورقة الأقنثة: (شوكة اليهود)

يبلغ عددها أربعة في كل تجميعة، وهي تشكل محوري الموضوع الزخرفي **(الشكل4)**

أما عن الألوان المستعملة فهي: الأزرق بدرجاته، والأخضر والأصفر والبرتقالي على أرضية بيضاء.

- **الزخارف الهندسية والرمزية:**

هي قليلة، تتمثل في خطوط متوازية تقع في قاعدة الدعامتين وكذا الوسادتين، كما نجدها تتخلل صفي البلاطات الخزفية وشريط القراميد. كما نلاحظ في المنطقة الوسطى من العقد نصف الدائري عنصر الهلال يتوسط دائرة، صمم بطريقة الحفر البارز**(الصورة 2، الشكل1)** والهلال كما نعلم رمز الدولة العثمانية وهو يقابل الصليب عند المسيحيين، نشير فقط إلى أن هذا العنصر أستعمل أيضا في زخرفة عين بئر الخادم ، وسط العقد الرخامي وفي ركنيه.

- **الزخارف الكتابية:**

تمثلها الكتابة التأسيسية للعين، صممت بخط الثلث، المتميز بجماليته النابعة من تماثل حروفه**(الشكل 3)** هذا الخط الذي استعمله الأتراك بكثرة في زخرفة العمائر و في تدوين المخطوطات، وبالنسبة لعيون فحص مدينة الجزائر فقد استعمل في تصميم الكتابات التأسيسية لعيون الحامة وبئر مراد رايس وبئر الخادم.